

بالضرورة - ضمن ما تتسم به - بانعدام الطبقة تماماً . وبغض النظر عن تفكيره الطبقي ، أحس أرنولد عن اقتناع ، بأن أمل العالم ليس في الأرستقراطيين (المتبريرين) ، ولا في طبقة التجار (الماديين) ، ولا في « عامة الجماهير » كما هم عليه وقت ذلك . وإنما « تسعى الثقافة إلى التخلص من الطبقات » ، ومن جميع الأشكال المصطنعة لـ « التفاوت الاجتماعي » : هذا التفاوت الذى « يجعل الطبقة العليا مادية ، والطبقة الوسطى همجية ، والطبقة السفلى وحشية » .

* * *

إن الأدب - أو « الشعر » بأوسع معنى لهذا المصطلح - كفيل - عن قدرة - بتطوير النشاط المستنير للعقل ، والذى يدعو أرنولد بالثقافة ، أولاً ، بسبب اتساع نطاق مادة موضوعاته وتنوعها ، وثانياً ، لأنه أداة توصيل تعتمد فى توصيلها على وسيلة تشكيلية ومؤثرة خلال ما هو بذاته خبوة حية ، وليس من خلال التحليل التجريدى والتوصيف . إن الشعر ، كما يفسره أرنولد بشكل عام - « ليس إلا أكمل صورة لكلام الإنسان » . إنه - كما نقول - استخدام اللغة بأحسن الوسائل الممكنة تأثيراً ، وتوصيلاً ، وإيحاءً ، وملاءمة . وتكشف اللغة - من خلال التعبير اللفظى - عندما « يقترب الإنسان إلى أقصى حد من أن يكون قادراً على نطق الحقيقة . وإن مجال الشعر - وليكن الشعر بوجه عام ، بدلاً من التفكير فيه على أساس أية قصيدة معينة - مجال متسع اتساعاً ما ، تستطيع لغة الإنسان نفسها أن تغطيه ، أو توحى به . إن التجارب المتنوعة التى عولجت فى أشكال عديدة من الشعر (الدرامى ، والغنائى ، والفلسفى ، والملحمى ، والساحر) هى الدليل الملموس . وعلى هذا يستطيع الشعر أن (يتضمن) محصلات العلم واستبصاراته الذهنية ونتائجها ، بل يستطيع - حقيقة - أن يستوعب أى فرع من فروع المعرفة . وعلى خلاف علوم محددة ، لا ينحصر الشعر فى مادة موضوعية . ومن المحتمل أن « دارس الآداب الإنسانية وحدها » ، يكون أقل « اكتمالاً » من « دارس العلوم الطبيعية وحدها » . ولكن بمنأى عن مجال وتنوع ، وأهمية ما يمكن أن يتناوله الشعر كموضوع له ، فإن القيمة السامية والسخية للشعر - بنوع خاص - تنشأ من خلال الشكل الذى يستطيع فيه أن يفسر التجربة وينقلها للآخرين . إن الشعر - قبل كل شيء - ليس مجرد عرض تفصيلات مسلسل الأحداث ومحددة ، ولكنه يفسر التفصيلات فى ضوء المثاليات ، والطموحات ، والمعرفة ، والتقييم الأخلاقى . كما أن الشعر - من جهة أخرى - تمتد جذوره فيما هو (ملموس) : فهو ليس فرعاً من الأخلاقيات النظرية .